محمد خالدي

هموم من الشارع المنسي

من الذي علم هذا القمر الحزن وغربة الرحيل ، الشاعر الذي يعود من غربته يرحل في القصائد ـ النبيذ كل ليلة ، يكتب في دفاتر الحزن أغاني السفر الطويل ... أيها المهاجر ، المدائن القديمة التي تهرم وحدها تآكلت . على قبابها ترتسم الوجوه . قيل ذات ليلةٍ سقطت (كان في قلبك حبهم وكانت الطقوس عادة سرّية) ... عظام موتانا تضج ، تنحني ، تصير هودجاً ملطخا بطحلب المقابر . الجدار قام بيننا . أفقت كان بيننا الجدار . هل تسلقت جدار هذه الجبّانةِ الحبلَى وهل رسمت أوجه الذين هاجروا في الزمن المنهدمِ . الموتى يصيحون وحارس المدينة الوحيد كان متعَباً يهيم في أغانيه القديمة . المصابيح تجوس ، يهجر الضوء مساحةً تضيع بين وجهِ الحارس الليلي والمقهى يضج فيه آخر السكارى . مر من من هنا : يداه كانتا فزّاعتينِ ثم غابَ ...

في الازقةِ المضاءةِ .
النوافذ التي تطلّ أطفأت

يجوس في الزقاق وحده . الكلاب هاجرت . يغادر المسافر الوحيد ، ترتمي على خطاه آخر الاغاني . أمسِ نام عندها . احتوته في سريرها . يذكر شهوة الحريق وارتعاشة المصابيح يغيم ضوؤها .... يذكر لون مزهريةٍ ودورة اسطوانة قديمه حين قرعت بابها ، تقوست معارج الضوء ، وددت لو حضنت وجهها ، لكنني قرأت في عيونها الخوف وشهوة البكا .... هذا أنا أجيئك الليلة مفتوناً . حنيني هودج وموسمي مواكب ظمأى . فهل فتحت بابك القديم . عاشقاً كنت ولم أزل مسافراً تلوكني الطريق ، ينبت الحزن على فمي ويورق الحنين دوحةً . كان هواك مرفأي اغتسلت في مياهه . توسدت ذاكرتي الرحيل والفراقَ مذ عرفت وجهك الصبي ذات ليلةٍ .. خرافي رحيليَ الطويل

. . . . . .

أمس عندما التقتيه بكى . أحبها قال السكارى مرة لكنها وغرقوا تلفهم معارج الدخان . هاتها مضى أحبتي . الليل يطول والمواعيد خواء

ـ هل عرفتَ من أحب
ـ أذكر التي اذا مشت
ـ تضوّعت خطاها عنبراً
ـ شباكها مطفأة أنواره
ـ ستائر الحرير أين هي ....

تهزني خطاي كل ليلة
لحانة قديمة
أسمعهم يثرثرون :

وجه سلمى قمر
يا ليتني ..

* * *

في الشارع القديم
تدور اسطوانة قديمة في حانة قديمة :
(شكونا الى أحبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم
سراعا ، وما يغشى لنا النوم أعينا)